# ... بضَريحِ أَحْمَدَ فُضِّلَتْ...

عندما سمع الصحابة الأكارم الآيات القرآنية من رسول الله ﷺ ووقفوا عند الآيات التي تختصّ بالمدح والثناء علىٰ الرسول ﷺ ، عندئذٍ فهموا ماذا يُمثّل الرسول ﷺ من قَدْرٍ وجاه، وما هو موقعه بالنسبة لأمور الشريعة!

ولذلك قدّموا الغالي والنفيس فداء للحبيب صلوات الله عليه :

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، قال القاضي عياض رحمه الله تعالىٰ: أعلم الله تعالىٰ المؤمنين، أو العرب ، أو أهل مكة ، أو جميع الناس ، علىٰ اختلاف المفسّرين ، مَن المواجَهُ بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولاً من أنفُسهم يعرفونه ، ويتحققون مكانه ، ويعلمون صدقَه وأمانته ، فلا يتّهمونه بالكذب ، وترْك النصيحة لهم ، لكونه منهم ، وأنه لم يكن في العرب قبيلة إلاّ ولها علىٰ رسول الله ﷺ ولادة أو قرابة .(١)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ، في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

... قالوا: وكونه من أشرفهم ، وأرفعهم ، وأفضلهم علىٰ قراءة الفتح ، وهذه نهاية المدح ، ثم وصفه بعدُ بأوصاف حميدة ، وأثنىٰ عليه بمحامد كثيرة ، من حرصه علىٰ هدايتهم ، ورُشدهم ، وإسلامهم ، وشدّة

---

(١) الشّفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاضي عياض: ٥٦ .

ما يُعنّتهم[1] ، ويضرّ بهم في دنياهم وأُخراهم ، وعزّته عليه ، ورأفته ورحمته بمؤمنيهم! .

وقال بعضهم: أعطاه اسمين من أسمائه: رؤوفٌ ، رحيم! .

وفي قول الله تعالىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

قال السمرقندي رحمه الله: ذكّرهم الله منّته أنه جعل رسوله ﷺ رحيماً بالمؤمنين ، رؤوفاً ليّن الجانب ، ولو كان فظاً خشناً في القول لتفرّقوا من حوله ، ولكن جعله الله سمحاً ، سهلاً طَلْقاً برّاً لطيفاً .

**أجل يا رسول الله!**

هذه الأخلاق الحميدة هي الرأسمال الذي ملكتَ بها قلوب العباد ، وذلك لأن الإنسان عادةً ما يفتح قلبه وعقله لأصحاب الرحمة واللين واليسر والتسامح .

فمن العجائب مُهجتي عنها سَلَتْ وهي التي بضريح أحمد فُضِّلَتْ
مثل العقود بقدْر جوهرها غلتْ ونعم لقد صدقوا بساكنها علَتْ
كالنفس حين زكتْ زكا مأواها

* * *

(١) أي: ما يشقّ عليهم .